حركة "شاس" من زاوية أخرى

لا حريدية ولا قومية– دينية ولا دينية ثورية

إعداد :الباحث عدنان نعيم

قبل الولوج في تحليل ماهية حركة "شاس" وطبيعتها الفكرية والبرامجية، وموقعها من الأحزاب الحريدية أو القومية أو الثورية أو الاجتماعية (كما يحلوا لها تصنيف نفسها في كثير من الأحيان)، رأيت أن من المناسب إلقاء نظرة على ما تقدم به "شاس" نفسها على صفحتها الإلكترونية وفي برامجها الانتخابية، وخاصة الأخير (2012)؛ حيث يتبين أن حزب "شاس" تأسس على يد الزعيم الديني اليهودي من أصول عراقية (الحاخام عوفاديا يوسف) عام 1984م، الذي ظل مرشده الروحي حتى وفاته عام (2013)، وأن هذا الحزب يمثل الشريحة المتدينة اليهودية من أصول شرقية في إسرائيل، الذي يسمى بالعربية "حزب الشرقيين المحافظين على التوراة"، وأن تأسيسه جاء ردًا على التمييز الذي يحسه اليهود الشرقيون "السفارديم" منذ قيام إسرائيل على يد النخبة الحاكمة من اليهود الغربيين "الأشكناز". كما تبين أن هذه الحركة بلغت ذروة قوتها في انتخابات عام 1999م؛ عندما حصلت على 17 مقعداً في الكنيست الإسرائيلي، قبل أن يتراجع تمثيلها إلى 12 مقعداً عام 2006؛ إلا أنه تساوى مع حزب الليكود، وأصبح القوة الدينية الأولى؛ والسياسية الثالثة في إسرائيل.

كما قدمت هذه الحركة نفسها على أنها لعبت دورًا فاعلاً في الحياة السياسية في إسرائيل منذ نشأتها حتى الآن؛ على عكس الأحزاب الدينية الأخرى في الكنيست، التي تركز على القضايا الدينية وتعطيها الأولوية؛ فهي عادة ما تنضم إلى الائتلافات الحكومية المتشكلة في أعقاب انتخابات الكنيست الإسرائيلي.

إلا أن مواقف هذه الحركة السياسية متباينة، وتميل أحيانًا إلى الوسطية والانتهازية؛ فهي تؤيد التفاوض مع الفلسطينيين؛ وفي الوقت ذاته تطرح مواقف متصلبة حيال مختلف القضايا المتفاوض عليها.

وهي حزب يدعم الاستيطان؛ ولكنه يرفض التفاوض حول مستقبل مدينة القدس، ويرفض التفاوض مع الدول العربية بدون تعويض اليهود عن ممتلكاتهم التي فقدوها بعد هجرتهم منها (على حد تعبير الحزب).

وتتشكل مواقف حزب "شاس" السياسية عادة من خلال موقف الحاخام الأكبر (عوفاديا يوسيف) إزاء كل قضية على حدة.

مبادئ الحزب المعلنة في برامجها الانتخابية

أولاً: العناية بالقيم التقليدية لليهود ولليهودية الأصولية في إسرائيل.

ثانياً: الاستمرار في طريق الحاخامين السفارديم، حسب الميراث اليهودي الشرقي.

ثالثاً: تمثيل جمهور "حراس التوراة والوصايا، ومنع التمييز ضد الجمهور الديني الأصولي، وتشجيع حب إسرائيل.

رابعا: تربية أولاد إسرائيل على التوراة المقدسة، من خلال الحفاظ على القيم اليهودية السفاردية، والعمل لنشر التوراة لكافة الجمهور.

ويتبني حزب "شاس" برنامجاً اجتماعياً يهدف إلى تقديم المساعدات للمحتاجين الذين تهملهم الدولة؛ ولهذا أسست هذه الحركة شبكة "أل همعيان" التعليمية عام 1985م، والتي لها 400 فرع تغطي مختلف أنحاء إسرائيل، وتقدم خدمات اجتماعية وتربوية لحوالي 100 ألف نسمة يومياً. وتحتوي هذه الفروع على نواد اجتماعية، ومدارس، وملاه، وكنس، ومراكز دينية. وأهداف هذه الجمعية هي:

1- إعادة بلورة العادات والقيم اليهودية وتنميتها.

2- التثقيف القائم على اليهودية والدين اليهودي.

3- بحث ودراسة تاريخ السفارديم.

4- دعم الطلاب والكتاب والأكاديميين، من خلال توفير منح دراسية لهم.

وهناك جمعيات ومنظمات أخرى تابعة لحركة شاس، مثل: المنظمة النسائية المعروفة باسم "ناوت مرغليت"؛ وكذلك جمعية "تأهيل السجين"، وجمعية "يد للأبناء"، وجمعية "العودة للأصل"، وجمعية "بركات هآرتس".

وتقوم حركة "شاس" بتغطية نفقات هذه المؤسسات التربوية والاجتماعية من خلال الدعم الحكومي الممنوح لها، كشرط لدخولها الائتلاف الحكومي؛ بالإضافة إلى دعم السلطات المحلية التي تحصل على ميزانياتها من الوزارات المختلفة؛ حيث يقدر الدعم الذي حصلت عليه المؤسسات التابعة لـ "شاس" بملايين الشواقل؛ ما ساعدها على الاستمرار والتقدم. وقد مكن ذلك حزب "شاس" من التغلغل داخل المجتمع الإسرائيلي وضرب جذوره، لاسيما في الأوساط الفقيرة.

المؤسسون وأبرز القادة:

الحاخام عوفاديا يوسيف "الزعيم الروحي لليهود الشرقيين"، وشالوم كوهين، وشبتاي أتون، وشمعون بعدني، ورؤوبين إلباز، وأرييه درعي، وإيلي يشاي، وإسحاق بيرتس، والحاخام رفائيل بنحاسي، والحاخام يوسيف عزران، والحاخام آرييه جملئيل، والحاخام يائير ليفي، والحاخام شلومو دين. ويعتبر إلي يشاي وارييه درعي من أبرز قادة حركة "شاس" وممن لهم نفوذ كبير وتأييد في مجلس الحاخاميين للحركة؛ غير أن خلافًا جديًا برز قبيل الانتخابات الأخيرة (أواخر 2012) بين درعي ويشاي؛ حيث هدد درعي بالانسحاب والإعلان عن حزب جديد لليهود الشرقيين (وهذا ما كان مكان رفض قاطع من الزعيم الروحي للحركة (عوفاديا يوسف)). وتم حسم الصراع بأن يكون ايلي يشاي على رأس القائمة الانتخابية.

بالمقابل يمنح أرييه درعي صلاحيات قيادية واسعة داخل الحركة. وبالرغم من هذه الخلافات الحادة في، إلا أنه حصل على 11 مقعدًا في الانتخابات الأخيرة (2012)، وكان من أبرز مرشحيه الذين فازوا بالانتخابات: دافيد أزولاي، وأريئل أطياس، وحاييم امسلم، ويتسحاق فكنين، ونيسيم زئيف، وإلياهو يشاي، وأمنون كوهين، ويتسحاق كوهين، وأبراهام ميخائيلي، ويعقوف مارغي، ومشولام نهري.

وعندما مات عوفاديا يوسف قبل حسم أمر خليفته، تجدد الصراع، حتى ما بين مجلس الحاخامات؛ غير أن الأمر حسم أخيرا لصالح الحاخام شالوم كوهين؛ فأصبح بهذا رئيس حركة شاس ومجلس حاخاميها؛ كما حصل أريية درعي على نفوذ كبير في الحركة على حساب الصراع مع ايلي يشاي.

وبناء على سلوك" "شاس" " الميداني الذي يثير الالتباس والتناقض لدى الكثير من المهتمين بالأحزاب الدينية؛ فهل يمكن تشخيص "شاس" على أنها حزب حريدي، أم ديني قومي، أم ديني ثوري، أم اجتماعي متطرف؛ أم انه يتقلب على كل هذه النماذج، دون حسم خياره في مسار واحد؟ فمنذ تأسيس "شاس" عام 1984، وهي تصعد بقوة وبحضور لافت، وفعل سياسي في الساحة الإسرائيلية؛ وذلك لأنها، كما يراها البعض، تجمع في سلوكها جزءاً من كل النماذج المذكورة؛ سواء في سياسة الأحزاب المركزية، أم في آليات العمل ومناهجه، أم في البرامج، أم في النزعات الدينية؛ أم في أسلوب الاحتجاج، سواء البرلماني، أم الميداني الاجتماعي في مواجهة السلطة الحاكمة !

ولمحاولة التعرف على " "شاس" من الداخل؛ حري بنا إجراء مقارنات ما بين شاس، وما بين باقي الأحزاب الدينية، من حيث قياس" شاس" ضمن المعايير الفكرية السياسية، وآليات العمل والمواقف السياسية، والنزعات الاجتماعية المتطرفة؛ بالمقارنة مع باقي الأحزاب الدينية؛ ونحن نفحص ونقارن، لا بد من الإجابة على الأسئلة التالية: هل "شاس" حزب حريدي أم ديني قومي أم اجتماعي متطرف أم ديني ثوري؛ كذلك الإجابة على تساؤل حول ماهية العلاقة بين بنية "شاس" وتأثيرها على حركات شرقية أخرى فاعلة على الساحة اليهودية الشرقية.

أولا: مقارنة "شاس" بالحزب الحريدي.

ولكي نقيس ذلك؛ لا بد من المقارنة مع حزب" "أغودات يسرائيل"؛ ذلك أنه حزب حريدي يعتبره الكثيرون الأقرب فكريًا ودينيًا من "شاس"، وقد بدأ نشاطه منذ زمن بعيد قبل نشأة "شاس" (منذ اليشوف)؛ غير أن التحريض والحقد كان بينهما دفينًا وجوهريًا؛ ولكن متطلبات السياسة والانتخابات كانت تفرض التقارب بينهما؛ (فقد سعى "أغودات يسرائيل" "كثيرًا لاستقطاب طلاب مغاربة ودمجهم في مؤسساته الحريدية الأشكنازية)؛ غير أن هذا التقارب كان سرعان ما ينفض وتبدأ حملات التحريض المتبادل.

غالبا ما كان يستوعب الطلاب السفرديم في مؤسسات منعزلة في البلدات التي يسكنها الشرقيون؛ وذلك لطبيعة عنصرية النظام السياسي الأشكنازي الحاكم.

وإذا حاولنا فهم جوهر الحزب الحريدي وفق" اغودات يسرائيل" أنه مجموعة من المبادئ والقيم تحكم "أغودات يسرائيل"، وهي: رفض للصهيونية السياسية على اختلاف تياراتها، والاعتراف بإسرائيل كدولة أجنبية وليست دولة دينية؛ ولا يرون في دولة إسرائيل "بداية الخلاص"، حسب ما يطرحه كبير حاخاميهم (أبرهام كوك)؛ ومن جهة ثانية يعيش مناصري وأعضاء "أغودات يسرائيل" " منفصلين عن العالم العلماني بقدر ما يمكن لهم أن يعيشوا في كافة مناحي الحياة، ويلتزموا بتعاليم "الهلخاة" التزاما حديدياً؛ وهذا ما يميز الحزب الحريدي عمومًا. وينظر الحزب (أغودات إسرائيل) بثبات وانضباط حاد تجاه شؤون الدولة والدين، والمقصود بكل ما من شأنه أن يحافظ على الوضع المحدد ما بين حياة حريديم "أغوداة يسرائيل" والدولة، من حيث رفض التجنيد وبناء مؤسسات بديلة تهتم بالشباب الحريدي والنشاطات الحريدية، ولدى "أغودات يسرائيل" مجلس حاخامين مشكل من كبار الحاخامين، ويقرر في كافة القضايا المتعلقة بشؤون الحزب ومؤيديه.

يرفض الحزب الحريدي "يغودات يسرائيل" المشاركة السياسية في شؤون الدولة؛ حيث يزعم أنها لا تطبق "الهلخاة"؛ ولكنه رغم انضباطة الشديد بالتعاليم الحريدية، تورط مرتين في المشاركة السياسية، وكانت "شاس وراء ذلك"؛ فقد شارك "أغودات يسرائيل" "شاس" بسن قوانين دينية "قانون الخنزير"، وشارك في منصب نائب وزير الإسكان في حكومة نتنياهو.

نعود الآن لنقارن ونقيس "شاس" على مقاييس "أغودات يسرائيل" الحريدي "لنرى أنه أي "شاس" شكليًا حريدي؛ وجوهريا يطبق سياسة غير حريدية، ف"شاس" من حيث البناء التنظيمي له مجلس حاخامين مثل "يغودات يسرائيل "، الذي لديه مراكز دينية خاصة بالحريديم. غير ذلك، فهو يعترف بدولة إسرائيل؛ رغم أن الحريدية الأرثودكسية، التي نشأت في أوروبا الشرقية، تأسست كرد فعل مناوئ ومضاد لحركة التنوير اليهودية. وفي نهاية القرن التاسع عشر، بدأت الأرثوذكسية تتبلور كحركة مناوئة للصهيونية، وهنا تكون "شاس" ليست فرعًا أو انبثاقاً من هذا السياق التاريخي من مسار الأرثوذكسية اليهودية الحريدية؛ وتاليًا، فهي

حركة شعبية انطلقت بعد بناء دولة إسرائيل من الأحياء الفقيرة، وبين أوساط المهمشين والمعزولين اجتماعيًا، وخصوصًا اليهود الشرقيين؛ ومن أوساط المعارضة الليكودية والمفدال؛ لذا فإن الاعتراف أو عدم الاعتراف بالدولة لم تكن بالأساس مطروحة لدى شاس؛ وذلك لأن الأغلبية أيضًا من شاس" يعتبرون الدولة واقع يتم التعامل معه والاستفادة منه بقدر المستطاع.

علاوة على ذلك، ففي الوقت الذي تقاطع فيه "أغودات يسرائيل" الحاخامية الرسمية التابعة للحكومة، فإن عوفاديا يوسف هو جزء أصيل من المؤسسة الحاخامية الرسمية، وشغل الكثير من المناصب فيها، (شغل منصب الحاخام الأكبر لتل أبيب، والحاخام السفاردي الأكبر في إسرائيل).

ويحسم الحاخام عوفاديا يوسف القضية الدينية من دولة إسرائيل، أي الموقف من اعتبار "قيام إسرائيل" حدثًا دينيًا يهوديًا أم لا "بالنفي أي يضع موقفه من المسألة الأساسية التي يقاس فيها المتدين بعلاقته مع الصهيونية؛ أي اعتبار قيام إسرائيل هو "بداية الخلاص"؛ فقد قام الحاخام عوفاديا يوسف "بتلاوة المديح عبر قراءة المزامير الاعتيادية بدون التهنئة بعيد "الاستقلال"؛ وهذا معاكس لسلوك "المفدال" الديني الذين يقرون أن "قيام إسرائيل" هو بداية الخلاص؛ ومن جانب آخر لا تعترف "يغودات إسرائيل" بعيد الاستقلال؛ حيث يفسرونه بأنه يساهم في تأخير ووضع المعيقات أمام مسيرة الخلاص المنتظرة.

في موضوع الانعزال الاجتماعي، كان الانعزال الاجتماعي لدى "شاس" عكس طريقة "أغودات يسرائيل"؛ فقد اعتبرت "شاس" الانعزال صياغة جديدة لمجتمع يهودي ديني، ضمن الجهود للوصول إلى نظرة "شاس" بـ(إعادة التاج إلى سابق عهده)؛ وليس من أجل الحفاظ على صيغة الطائفة وطابعها الديني.

إضافة لذلك، فإن مناصري وأعضاء "شاس" يتوزعون في أنحاء متفرقة من مدن وأحياء إسرائيل؛ على عكس حريديم "أغودات يسرائيل" الذين يتمركزون في" بني براك" والقدس؛ وهنا يمكن القول أن" شاس" تقترب بهذا الموضوع من الليكود؛ أي من جهة الحزب الرسمي؛ وليس الحزب المنغلق الحريدي؛ ما يجعلها تختلف مع "أغودت يسرائيل". وإذا كانت "شاس" تبذل جهودًا جبارة لاستقطاب الأشكناز الحريديم؛ فإن "أغودات يسرائيل" لا يسعى لذلك؛ حيث اتسم زعيم "شاس" (عوفاديا يوسف) بتصريحاته المرنة؛ ما ساهم في انضمام

عناصر أشكنازية متدينة إلى "شاس". وهذا ما يؤكده الباحث شلومو فيشر حيث يقول "إن "شاس" تعتبر كالكنيسة المنفتحة مقابل الطائفة المنغلقة".

كما إن "شاس" تختلف عن "أغودات يسرائيل" في تصريحاتها وسلوكها السياسي تجاه الشراكة السياسية والاقتصادية، بما يشمل توزيع القضاة والمال والموازنة؛ فمنذ نشوء "شاس" وهي تشارك في التشكيلات الحكومية، وتمثل بوزراء في الحكومات، باستثناء فترة خروجهم من الحكومة بعد اعتقال "أرييه درعي" عام 2000، الذي قال: "نحن الحريديم يجب أن نكون شركاء عاملين بالدولة، ولا يمكن الانشغال فقط بالمواضيع الدينية"؛ وبهذا ميزت "شاس" وضعها عن مجتمع الحريديم منذ بداية نشوئها؛ حيث خالفت بذلك مقاسات الحزب الحريدي التقليدي.

وقد برز الانفجار في الانفصال (الشاسي) عن العالم الحريدي، حين انضمت "شاس" إلى حكومة رابين عام 1992؛ وكان هذا مناقضًا تمامًا لموقف الحاخام "شاخ" الأشكنازي؛ ما أعطى قوة ومناصرة أكثرلـ"شاس" من قبل الشرقيين غير الحريديم؛ على عكس ما كان متوقعًا.

وعلى العكس من الحريديم؛ نجد أن ما يميز "شاس" هو الانفتاح، وخصوصًا من جهة عائلاتهم وموقفهم من الظهور على شاشات التلفزة؛ حيث أسست محطتين للبث بالراديو في منطقة القدس؛ وثالثة في تل أبيب، إضافة إلى ستة محطات أخرى للأحزاب الحريدية التي تستعملها "شاس"؛ حيث تقوم "شاس" من خلال هذه المحطات بالدعاية والعمل على إقناع المستمعين بالعودة إلى المسار الصحيح والسليم؛ كما كانت تبث الدروس الدينية للرابي عوفاديا يوسيف إلى أكثر من (400) منطقة بالبلاد؛ هذا بالإضافة للجريدة الأسبوعية التي تصدرها "شاس" "من يوم ليوم".

وحول مسألة النظرة إلى الجيش، ففي الوقت الذي طالب فيه أرييه درعي بإعفاء الحريديم من الخدمة العسكرية، تجند الكثيرون من أنصار "شاس" ونشطائها في الجيش الإسرائيلي؛ حتى أن معظم أعضاء البرلمان الإسرائيلي من "شاس" قد أنهوا الخدمة عسكرية في الجيش؛ فوفق استطلاع ل "شاس"، صوت 55% منهم لصالح دولة "هلخاة " دينية، كمبدأ ديني وليس سياسي.

وبناء على هذه المعطيات، نرى أن من الجدير عدم تصنيف "شاس" على أنها حزب حريدي ديني؛ لأن المقاييس المرسومة للحزب الحريدي "أغودات يسرائيل" "لم تنطبق على "شاس"؛ ما ينافي تصريحات قادة "شاس" بأنهم ضمن الأحزاب الحريدية؛ حيث يرى الكثير من مؤيدي "شاس" أنها حركة اجتماعية، وأن لبوسها الحريدي يقويها ويزيد نفوذها، ويزيد من مريديها، وهذا يحقق أهداف قادتها الانتخابية ومكاسب تجنيها من خلال ذلك، ولأن هذا التوجه يمنح قادتها الإعفاء من المسؤولية الأيدلوجية –الاجتماعية تجاه المريدين وخصوصًا المصوتين للحركة، حيث غالبيتهم من غير الحريديم.

ثانيا: مقارنة شاس بالحركة الدينية– القومية.

بالمقارنة والقياس مع مقاييس نموذجية للحركات القومية– الدينية، سنرى هل "شاس" حركة دينية – قومية، أم لا:

انبثق الحزب القومي الديني (المفدال) من حزب "همزراحي" و"هستدروت هبوعيل همزراحي"؛ وبالرغم من الاختلافات الأيدولوجية مع الأحزاب الحريدية؛ إلا أنه، وفي فترة النشأة (خصوصًا فترة اليشوف)، كان اهتمامه باحتياجات مصالح الطائفة في إسرائيل، ومشاركتها في هموم الحياة، بمعزل عن المشروع الصهيوني. وتبنى الحزب القومي الديني أيدولوجيا صهيونية سياسية دينية؛ في حين أن "شاس" لا تتبنى أيدلوجيا صهيونية سياسية رسمية؛ لكنها في ذات الوقت، لا تبادر إلى الانتقاد العلني للصهيونية؛ لأن الكثير من مريديها هم يمينيون غير حريديم (كانوا مؤيدون لليكود)؛ وعليه ترى "شاس" أنه لا يجوز أن تمس الصهيونية باليهودية، وتسعى "شاس" دومًا إلى عدم المساس بعنصر القومية الذي ترتكز عليه الصهيونية؛ لأنه يشكل الأساس الذي ترتكز عليه هوية الكثيرين من مريدي "شاس"؛ حيث قال "باز" (رئيس مكتب تجنيد "شاس"): "لقد أرادوا إبادتنا، وفتشوا عن طريق لتقويض هويتنا من أساسها؛ ولكنهم لم ينجحوا. . . لماذا؟ لأننا تعلمنا في مدرسة التوراة. . . وعندما جئنا للبلاد ونحن بسن العاشرة، حاولوا إبعادنا وحرفنا ".

في حين حسم الحزب القومي الديني" المفدال" التناقض بين السعي الدائم للخلاص، وحسب "الهلخاة"؛ وبين المشاركة السياسية بدولة علمانية؛ حيث اعتبر الصهيونية والدولة بداية الخلاص من خلال استمرار الاستيطان والسيطرة على الأرض؛ كما ساهم ذلك ببروز حركات متطرفة مثل "جوش أمونيم"؛ إلا أن "شاس"

على عكس ذلك، لا تقدس وحدة أرض إسرائيل؛ فقد أفتى الحاخام عوفاديا يوسف عام 1967 بإجازة إعطاء أرض من أجل السلام؛ وقال: "إذا قرر رؤساء إسرائيل والجيش، سويًا مع أعضاء الحكومة بأن المسألة حياة أو موت، وأن ثمة خطرًا وشيكًا بوقوع حرب؛ وإذا أعيدت لهم مناطق؛ سيزول الخطر وتلوح فرصة سلام بالمنطقة؛ عندئذ يبدو أنه بلا شك يجوز إعادة مناطق من "أرض إسرائيل"، من أجل تحقيق هذا الهدف". وبعد هذا التصريح مباشرة اشتركت "شاس" بحكومة (حزب العمل وميرتس)، كذلك دعم عوفاديا يوسف إعادة مناطق؛ وذلك في مقابلة مع يديعوت أحرونوت عام 2003. (أي أن "شاس" تنادي بالانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة ومن الجولان أيضًا، انطلاقًا من المبدأ الديني (من أنقذ روحًا في شعب إسرائيل، أنقذ عالمًا بأكمله).

ويتضح هذا من خلال قيام "شاس" والحاخام (عوفاديا يوسيف) بدور الوساطة بين الحكومة الإسرائيلية ووزير الخارجية الأمريكي آنذاك (جميس بيكر)؛ حيث أعلنوا موقفهم الداعم والمؤيد لمحادثات مدريد.

هذا وقد أيدت حركة "شاس" أيضا مبدأ التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، من خلال موقف (إسحاق بيرتس) وكذلك (أرييه درعي)، الذي كان يرى أن على إسرائيل أن تبدي مرونة أكثر في عملية السلام، هذا من جانب؛ وأما الجانب الأخر، فعليها التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية. واعتبر أيضا أنه لا مناص أمام إسرائيل من التنازل عن أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة من أجل تحقيق السلام؛ فهو (حسب وجهة نظره) يعتقد أن هذا التنازل عن هذه الأراضي سيسبب الآلام لشعب إسرائيل؛ ولكنه، من جهة أخرى سيحفظ أمنها. ويتضح هذا في قوله (ربما كانت الخليل أو نابلس أكثر قدسية بالنسبة لليهود من تل أبيب، لكن هناك قداسة أكبر بكثير من قدسية الأرض، وهي حياة الإنسان، وحتى نمنع سفك الدماء من كلا الجانبين، علينا أن نسعى من أجل التوصل إلى حل سياسي).

هذا وقد وصف أرييه درعي الانتفاضة الفلسطينية في أواخر عام 1987م بأنها (أصعب حرب خاضتها إسرائيل؛ فالخسائر التي ألحقتها صعبة جدًا، ولا يمكن تعويضها؛ والحل لا يكمن في استخدام القوة؛ بل يجب أن يكون سياسيًا).

وأما بالنسبة لموقفها من اتفاقيات أوسلو، فقد دعمت حركة "شاس" هذه الاتفاقيات، ولم تكتف بهذا فقط؛ بل حثت رئيس الحكومة (بنيامين نتنياهو) على السير قدمًا من أجل تطبيق هذه الاتفاقية مع الفلسطينيين.

وعلى الرغم من كل هذا، إلا أن مواقف "شاس" تجاه عملية السلام ودعمها القوي للانسحاب من الخليل لم يؤثر على مدى الدعم لها. ويتضح ذلك من خلال تضاعف عدد الأصوات التي حصلت عليها "شاس" في انتخابات عام 1996م، حيث حصلت على(260) ألف صوت في انتخابات عام 1992م.

وأما بالنسبة لمفاوضات الحل النهائي، فان "شاس" ترى حتمية أنه سيكون هناك كيان وسيادة فلسطينية في الضفة والقطاع؛ لذا فهي ترى بأن على إسرائيل التنازل عن الأراضي مقابل تنازل الفلسطينيين عن فكرة العودة لحيفا ويافا، وانسحاب إسرائيل الكامل لحدود عام 1967م.

وبموضوع الاستيطان:

يعتبر موقف "شاس" من الاستيطان تابعًا لموقف الحزب الأم ("أغودات يسرائيل")، والتي قامت في الأساس على عدم الاهتمام بهذه الجوانب.

وبعد أن انشقت "شاس" عن الحزب ألام ("أغودات يسرائيل") استمرت في تطبيق سياسة خاصة بها؛ فكانت أكثر اعتدالًا في المواقف السياسية من الأحزاب الدينية الأخرى؛ حيث أيدت التنازل عن الأرض مقابل سلام حقيقي يضمن أمن إسرائيل؛ أما في حالة عدم ضمان أمن إسرائيل فإنه يتوجب على إسرائيل عدم الانسحاب أو التنازل عن هذه الأراضي؛ كما اعتبرت أن إقامة دولة فلسطينية آت لا محالة، وفي هذه الحالة، فإنها تتخذ موقفًا معينًا من المستوطنات والاستيطان يتمثل بآلاتي: –

أن أغلب المستوطنات الصغيرة سوف لا تكون تحت السيادة الإسرائيلية. وفي هذه الحالة، على المستوطنين إما القبول بالعيش تحت السيادة الفلسطينية، أو العمل على تفكيك هذه المستوطنات. وفي حالة قبول المستوطنين بالعيش تحت السيادة الفلسطينية، فانه يجب توفير الأمن لهم، وأن وضعهم سيكون مماثلًا لوضع العرب في إسرائيل.

وهذا يتضح من قول درعي: "إذا أرادت المستوطنات الصغيرة أن تبقى تحت السيطرة الفلسطينية، فلها ذلك؛ وإذا أرادت الرحيل، فلترحل، إنه لمن التخريف الاعتقاد بأن كل المستوطنات الصغيرة ستبقى تحت السيطرة الإسرائيلية".

"لقد ركب، أو بالأحرى، هجن "المفدال" القومية والتطرف القومي على الدين؛ كوسيلة لتجسيد القومية؛ وهنا يمكن تصنيف "الـ"مفدال" كحزب قومي أكثر منه ديني؛ بالمقابل قامت "شاس" بتركيب أو تهجين الدين على القومية"؛ أي أن "شاس" دينية أكثر مما هي قومية، باستثناء ما يلزمها لأغراض السياسة. وبالرغم من مهاجمة "المفدال"لـ"شاس" على أنها حزب ليس قوميًا (غير صهيوني)غير أن "شاس" تمكنت من الإفلات، ومن تحقيق مكاسب انتخابية من خلال تصريحات عوفاديا يوسف بأن الصهيونية في نظره "صهيونية حقيقية".

المشترك ما بين "شاس" والمفدال:

ثمة ما هو مشترك بين "المفدال" وشاس؛ رغم البون الشاسع بينهما: الأول هو المساهمة في الحياة السياسية الحكومية؛ وثانيًا إنشاء جهاز تعليم حريدي غير مرتبط بالتعليم الحكومي تمامًا؛ وهذا يدلل أن "شاس" وبالمقارنة مع "الـ"مفدال" "ليست حركة قومية دينية.

ثالثا: مقارنة "شاس" بالحركات الدينية الثورية: (الثورة الإسلامية الإيرانية)

وبالمقارنة يجب الإجابة عن السؤال الجوهري، وهو: هل يمكن اعتبار "شاس" حركة دينية ثورية، من أجل تغيير جوهري في المجتمع؛ أم من أجل إصلاحات وتحقيق مكاسب حزبية لا تمس بالتغير الثوري الجوهري في المجتمع؟ وللإيضاح أكثر نحاول مقارنة "شاس" مع حركة دينية ثورية، وهي الثورة الإسلامية في إيران.

وقبل التطرق للقالب الإيراني نود الإشارة إلى العلاقة بين حركة حماس وحركة "شاس"؛ حيث نلاحظ أن ثمة متشابهات بينهما، من حيث الطابع الديني والخدمات المقدمة لجذب ثقة الجمهور من خلال الدين، كذلك بناء المؤسسات الرديفة للمؤسسات الحكومية؛ سواء التعليمية أو الصحية؛ غير أن "شاس" انضمت منذ زمن بعيد

للحكومات المتعاقبة في إسرائيل؛ أما حماس فقد بقيت معارضة، تطرح نفسها كبديل عن (م ت ف)، إلى أن انخرطت بالنظام السياسي الفلسطيني، من خلال مشاركتها بانتخابات عام 2006.

ويتضح أن حركتي "حماس" و"شاس" ليستا حركتين قوميتين؛ بل حركتين تتبنيان الدين؛ غير أن كلتيهما تتشاركان العمل والفعل مع الأحزاب والحركات القومية (شاس مع الحركة الصهيونية والأحزاب غير الدينية والقومية؛ وحماس مع فصائل منظمة التحرير).

وعود لذي بدء (إلى القالب والتجربة الإيرانية) وهل تنطبق معايير الثورة الإيرانية على حركة شاس، من جهة القيم الأساسية للثورة الإيرانية، وخاصة خلال سنواتها الأولى.

تحدث الباحث (إرفارد أبرهيميان)عن الثورة الإيرانية موضحًا أن نظام الشاه القمعي، لم يترك أمام الشعب الإيراني سوى الثورة الشعبية؛ ففي الوقت الذي قمع الشاه كل الأحزاب القومية واليسارية المناوئة له، بكل عنف وبطش؛ لم يترك لهم سوى الدين والمسجد مكانًا وملاذًا للتجمع والاحتشاد. وهذا الباب لم يكن بمقدور الشاه إغلاقه؛ من هنا تولدت نواة الثورة الإيرانية؛ فقد دعمت أمريكا والغرب وإسرائيل وبعض الدول العربية نظام الشاه القمعي غير الديمقراطي على حساب نظام "مصدق" الديمقراطي؛ فقد دعمت أمريكا الانقلاب على "مصدق" بكل قوة، ومكنت الشاه من الحكم والبطش الذي استمر 25 سنة.

وحين نشأت الثورة الإيرانية كحركة سرية في المساجد، وبدأ نجمها يسطع؛ قام الشاة بحملات من البطش والقمع، وأبرزها كان نفي قيادات الثورة؛ ما شكل الشرارات الكبرى للثورة. وبالقياس، فإن النظام الأشكنازي الأبيض والمؤسس للحركة الصهيونية وإسرائيل جلب اليهود الشرقيين لا ليكونوا جزءًا ومركبا أساسيًا بالنظام؛ بل لاحتياج هذا النظام الأشكنازي لهم كقوة عمل سوداء وعمال مزارع ومهنيين، وليكونوا قنبلة في وجه إخوتهم العرب.

وقد مارس النظام الأشكنازي في إسرائيل أشد أنواع التمييز العنصري العرقي والاجتماعي ضد اليهود الشرقيين؛ تمييزًا طال مأكلهم وملبسهم وعلاجهم وتعليمهم، ومشاركتهم في المناصب القيادية للدولة، وحاصرهم من خلال إحكام سيطرته على كافة مؤسسات الدولة، من أجهزة أمنية ومؤسسات تشريعية؛ فقد

قمع هذا النظام الأشكنازي الكثير من حركات الاحتجاج الشرقية، مثل: "القوس الديمقراطي" و"الفهود السود"؛ واعتبر الأشكناز بنظرتهم الاستعلائية أنهم قدموا من واقع متحضر متطور، وأن الشرقيين جاءوا من واقع متخلف متأخر حضاريًا؛ بالضبط كما كان يصور الشاه أنه وريث الحضارة الحديثة الغربية، وأنه سيجلب الحضارة لشعب متخلف؛ وهكذا لم يترك لهم بابًا مفتوحًا سوى الكنيس ليعبروا عن أنفسهم. وبهذا وجد اليهود الشرقيون أن الكنيس يوفر لهم قوة وغطاء ونظامًا للتحرك والتعبير عن التهميش والظلم الذي لحق بهم لسنوات طويلة. ويؤكد زعماء "شاس" على ذلك مرارًا بتكرار مقولة توراتية (ولكن بحسب ما أذلوهم هكذا نمو وتمددوا).

وبالمقارنة بذات الظروف؛ في الوقت الذي خرجت فيه الثورة الإيرانية من المساجد؛ خرجت "شاس" من الكنيس لتصبح ثاني أكبر الأحزاب في التجمعات والأحياء التي يسكنها اليهود الشرقيون.

وإذا وقفنا على أوجه التشابه نجد أن:

أولا: "شاس" والثورة الإيرانية يقف على رأسها زعيم روحي للحركة، ولا يمثل موقفًا سياسيًا رسميًا.

ثانيا: لكليهما مجلس حاخامين ومجلس علماء الدين، وهو يقرر ويبت في القضايا الجوهرية والإستراتيجية للحركة.

ثالثا: زعامة سياسية تخدم تحت تعليمات وتوجيهات هذين المجلسين الروحيين.

رابعا: الأمام والحاخام هما المرجعية في القضايا المركزية.

خامسا: الأداة التنظيمية للثورة الإيرانية هي المسجد؛ والأداة التنظيمية ل "شاس" هي الكنيس؛ (وتم استخدامهما للتعبئة والتثقيف والتحريض من خلال اللقاءات الأسبوعية واليومية في المسجد والكنيس. وعقب "أيريس مزراحي بالقول: "عندما اقفلوا الأبواب بوجه اليهود الشرقيين أغفلوا إغلاق باب واحد وهو باب الكنيس، وعندما لم يجدوا أحدا يتكلموا معه ذهبوا ليكلموا الله".

بالرغم من كل نقاط التشابه بين "شاس" والثورة الإيرانية؛ غير أن هذا لا يعتبر مقياسًا جوهريًا، وخاصة من جهة الثورية؛ فشاس تتمتع بسجل ثوري غير واقعي، وخاصة فيما يتعلق بالمنفى والنفي (وهي الصورة اللازمة للثورات الوطنية)؛ فقد سعت "شاس"، وخاصة بعد اعتقال زعيمها "درعي"، وخروجها من الائتلاف الحكومي بزعامة يهود براك؛ لتصوير ذاتها أنها الزعامة المحاصرة والمنفية عن الفعل السياسي؛ وذلك فقط لكسب تأييد الناخبين، وعرض المزيد من الابتزازات من أجل العودة إلى الحكومة؛ وليس إلى تغيير النظام وإحلال نظام آخر مكانه؛ فما يهم "شاس" هو حصتها من الموازنات والمحاصصة السياسية عبر الحصول على مقاعد وزارية أو رسمية بشكل عام.

وبالرغم من هذه الدعاية حول النفي والمنفى، لم تساعد، بل ولم تسع "شاس" لإجراء مراجعات جوهرية في جوهر سياساتها نحو الفعل الثوري الحقيقي؛ وإنما وظفت النفي لأغراض انتخابية وأخرى ذكرناها؛ من أجل تعزيز مكانتها؛ ففي حين أغلقت الأبواب أمام "شاس" وخرجت من الحكومة عام 2000، وغداة اعتقال درعي؛ لم تسع إلى أن تغدو معارضة ثورية حقيقية؛ وإنما بقيت في ذات الفلك ولم تقفز عنه.

تغير نظام الحكم أساس التغير الثوري:

وأما ما يمكن عرضه بالمقارنة على أنه فرق جوهري بين "شاس" والثورة الإيرانية؛ فهو أن الثورة الإيرانية جاءت لتغير كليًا نظام الحكم، وتأتي بنظام آخر كليًا مختلف عن سابقه، رافعة شعارات التخلص كليًا من القهر والظلم؛ في حين لم تضع "شاس" (كونها حركة اليهود الشرقيين) نصب أعينها التغير الثوري؛ أي تغيير النظام الأشكنازي كليًا، ووضع نظام آخر بديل عنه كلياً؛ وهذا ما يدحض فكرة أن "شاس" حركة ثورية؛ فعوفاديا يوسف (الزعيم والأب الروحي) لم يدعُ إلى إقامة دولة "الهلخاة" على حساب إزالة الدولة الصهيونية الأشكنازية؛ وهذا ما يدفع باتجاه الرؤية لـ"شاس" أنها ممثلة لمجتمع شرقي مغبون ومضلل؛ فقد فضلت بعد اعتقال درعي أن ترشح شخصًا من خارج دوائر "شاس" ليترأس الحكومة؛ ولم تختر أحدًا من قادتها؛ وهذا ما يدعم ما ورد، ويعتبر شاس ((حركة الابتزاز السياسي بامتياز)).

كما تختلف "شاس" عن الثورة الإيرانية فيما يتعلق بموضوع الانغلاق: ففي حين توجهت الثورة الإيرانية إلى كافة الإيرانيين؛ توجهت "شاس" إلى التيار الحريدي واليميني خاصة؛ فهي منفتحة ومنغلقة في ذات الوقت؛

لا تقر بأي تنظيم سياسي اجتماعي للشرقيين سوى "شاس"؛ وفي ذات الوقت يستوعب كنيس "شاس" كل اليهود، بمن فيهم العلمانيون؛ غير أن "شاس" تتمتع بتأييد من غير الشرقيين؛ لكونها تعتبر مرضية لهذه الشرائح عبر طريقة الاحتجاج "عبر صناديق الاقتراع ".

وبالرغم من ذلك، تعتبر "شاس" نفسها حركة ثورية اجتماعية في مضمار الرفاه الاجتماعي، رغم انه لا تنطبق عليها ما انطبق على قالب الثورة الإيرانية الإسلامية؛ فهي تعتبر نفسها حركة ثورية في إطار عالم اليهودية وإسرائيل كدولة.

مقارنة شاس بالحركة الاجتماعية المتطرفة – مدى انطباق ذلك:

سارعت حركة "شاس" إلى تقديم المساعدات للمحتاجين الذين تهملهم الدولة؛ من أجل التخلص من كافة الأمراض الاجتماعية؛ انطلاقاً من أيديولوجيتها الثابتة المتمثلة بالعودة إلى الدين.

وبتطبيق مقاييس الحركة الاجتماعية نجد:

أولا: وجود هدف جماعي للصراع؛ وذلك من أهم تصنيف الحركة على أنها حركة تغير اجتماعي؛ وذلك من خلال تقديم فعاليات وبرامج وتحديات جدية في مواجهة السلطة الحاكمة أو الجهات النافذة والمتنفذة في المجتمع؛ من خلال رفع شعارات وبرامج بديلة كليًا للنظام السائد. وهذا لا يظهر في برامج "شاس" وممارساتها؛ فهي لا تضع هدفًا اجتماعيًا مضادًا من حيث الجوهر للنظام الحاكم؛ بل تتقاسم مقاليد الحكم من خلال تبوء بعض قادتها مناصب وزارية وعليا بالدولة، وحصولها على موازنات خاصة بالحركة، من خلال الموازنة العامة للدولة.

ثانيا: وجود هدف مشترك وسعي جاد وحثيث لتحقيق الهدف، مهما كلف ذلك من مشقات وصعاب. نظريًا وشكليًا يوجد ل "شاس" هدف واضح ومشترك؛ ولكن بعيدًا عن العمل الحثيث والجاد لتحقيقه؛ لأن تاريخ "شاس" يشهد أنه لا يوجد لها موقف واحد مناهض للنظام الحاكم، عرَّض من أجله قادة "شاس" حياتهم للخطر.

ثالثا: توافر التضامن الاجتماعي. ينحصر التضامن الاجتماعي في شاس من خلال تأثير العنصر الديني والإثني؛ فقد شكل العامل الديني الشرقي أساسًا متماسكًا للحركة (خصوصًا قبل وفاة (عوفاديا يوسف)؛غير أن هذا لا يعني أن "شاس" حركة اجتماعية.

رابعا: وجود سياسة حثيثة في المواجهة. في الوقت الذي تواصل فيه "شاس" انتقاد السياسة الأشكنازية، وخاصة سياسة النخبة الأشكنازية، وخاصة الصراع على المستوى القيمي، فإنها استمرت منذ تأسيسها (شاس) في التعامل مع هذه النخبة (الأشكنازية) من خلال الشراكة السياسية في الحكم.

خامساً: توفر ارتباطات فكرية عالمية: وهنا لا يوجد لـ"شاس" أي ارتباطات فكرية عالمية؛ كونها أسست بعد بناء إسرائيل بوقت طويل؛ وتحصر برامجها ب"اليهود الشرقيين"؛ على خلاف الأحزاب الماركسية التي تعتبر البعد الفكري العالمي أساسًا لربط الأهداف بالنظرية الثورية العالمية، مثل: "الفهود السود"، وحركة "الخيام"، و"القوس الديمقراطي" في إسرائيل.

سادساً: فهو تحدي النظام الحاكم سياسيًا واجتماعيًا، والمواجهة من خلال برنامج بديل جوهريًا، وليس جزئيًا أو سطحيًا؛ حيث تبحث "شاس" دائمًا عن احتياجات ومتطلبات وامتيازات للحركة، سواء بالتعليم، أم الموازنة، أم غير ذلك؛ دون الاهتمام بالكفاح من أجل التغيير الاجتماعي الشامل في بنية النظام الحاكم.

واستنادًا لما أوردناه من مقارنة قياسية؛ نرى أن "شاس" ليست حركة اجتماعية ثورية متطرفة؛ ذلك أنها كانت جزء من تركيبة الحكومات المتعاقبة في إسرائيل منذ تأسيسها حتى اليوم (باستثناء الفترة التي خرجت فيها من الحكومة عام 2000 (بعد حبس أريية درعي)).

موقع "شاس" من الشرقيين الجدد:

تمكنت "شاس" من معرفة حجم القوة الهائلة التي يمثلها اليهود الشرقيون، ولاحظت أن ثقلهم يظل محدودًا إذا بقي في إطار الصهيونية العلمانية؛ لذا عملت على تعزيز وإعلان موقف واضح وصريح يتبنى هواجسهم وتطلعاتهم، من خلال الاعتزاز وتبني عقيدة خاصة بالشرقيين، وهي (الدين اليهودي الشرقي "السفاردي")؛ وهذا ما لم يستطع التقاطه زعماء حزب تامي (أبو حصيرة وأوزون)؛ حيث طالبوا بلعب دور سفاردي مستقل

في السلطة الموجودة (الأشكنازية)، والمتمثل فقط بالتغيير الاجتماعي من خلال المحاصصة في الغنائم (الوظائف العامة في الدولة)، واعتبروا أن من خلال ذلك يمكن أن يردوا الاعتبار لليهود الشرقيين الذين تعرضوا منذ وصولهم إلى فلسطين إلى أبشع أصناف التمييز والقهر الاجتماعي والسياسي المستتر.

ونخلص إلى القول:

أن "شاس" هي حركة سياسية لليهود الشرقيين، تتقن استخدام عناصر التعبئة والتحريض، سواء الدينية أو الاجتماعية، لتحقيق مكاسب فئوية للحركة والمقربين منها (بالرغم من ظهورها المتأخر نسبيًا مقارنة مع الأحزاب الإسرائيلية الأخير؛ غير أنها فرضت نفسها على المعادلة السياسية الأشكنازية في إسرائيل، وخصوصًا النظرة الاستعلائية الأشكنازية تجاه اليهود الشرقيين. كما وحصدت تأييد الكثير من العلمانيين والأشكناز باتجاه تغيير نظرتهم لليهود الشرقيين، ومن خلال مشاركتها في الائتلافات الحكومية وإتقان فهمها للمعادلات السياسية، والتلاعب بالأفكار والمواقف لصالح تزايد نسبة مصوتيها؛ ما ساهم بتحسين موقعها الاجتماعي، وتطوير وتزايد قوة مؤسساتها الخاصة؛ فانعكس ذلك على تزايد نفوذها بفوزها بـ 11 مقعدً في الانتخابات الأخيرة (2012)، و17 مقعدًا في انتخابات 1999.

وبالرغم من كل ذلك الانجاز لحركة "شاس" كحركة شرقية في مجتمع إسرائيل الأشكنازي؛ إلا أنه لا يمكن اعتبارها حركة دينية ثورية، ولا حركة اجتماعية راديكالية، بمعايير الحركات الاجتماعية الراديكالية المعروفة إطلاقًا؛ بسبب مشاركتها السياسية بالحكومات المتعاقبة، وانغلاقها على الطائفة الشرقية وفكرها غير العالمي؛ بالإضافة إلى عدم وقوفها بصورة حاسمة، وتقديم برنامج ورؤية بديلة تمامًا للنظام الأشكنازي الحالي؛ إضافة إلى مخاطبتها لجمهور الحريديم الشرقيين بشكل عام. وهي اليوم تشهد صراعات داخلية على مراكز القوة فيها؛ ما قد يؤثر على موقعها ومركزها كحركة لليهود الشرقيين في إسرائيل.

المراجع :

1- دليل إسرائيل العام 2011، مؤسسة الدراسات الفلسطينية – رام الله .

2- نبيه بشير. جدلية الديني السياسي في إسرائيل، حركة شاس حالة دراسية . مركز مدار للدراسات الإسرائيلية /رام الله 2006 .

3- أمنون راز كركوتسكين . إلا شاس (مجموعة مقالات)، مركز مدار للدراسات الإسرائيلية 2001/رام الله

4- يوسف عودة . حركة شاس ودورها في المجتمع الإسرائيلي، الحوار المتمدن 2005، محور المواضيع والأبحاث السياسية.

5- الياس جرايسة ومنير فخر الدين، اليهود الشرقيين – إلى أين؟ (طرح في البديل السياسي الشرقي- حوار مع سامي شطريط)، القدس بيت لحم : مركز المعلومات البديلة. 1998

6- الياس جرايسة وهداية أمين، قراءات نقدية في تاريخ اليهود الشرقيين، (إيلا شوحاط، الصهيونية من منظور ضحايا اليهود)، القدس –بيت لحم : مركز المعلومات البديلة . 1998

7- جمال البدري، الجسر- الأحزاب الدينية الإسرائيلية، القاهرة: مدبولي الصغير، 2000.

8- صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، الخليل: رابطة الجامعيين – مركز الأبحاث، 1990.

9- محمود عباس، الاستقطاب الديني والعرقي في إسرائيل، غزة: المجلس الفلسطيني للعلاقات الخارجية، 1998.

10- مروان درويش ونبيه بشير، اليهود الشرقيون وحركة شاس: بين الإثنية والدين، نابلس مركز البحوث والدراسات الفلسطينية –دائرة الدراسات الإسرائيلية.

11- يائير شيلغ (مترجم من قبل سعيد عياش)، المتدينون الجدد- نظرة راهنة على المجتمع الديني في إسرائيل، مركز مدار للدراسات الإسرائيلية رام الله 2002.